

تفسير البحر المحيط

@ 141 عاتون . .

{ فَتَوَلَّ عَنَّهُمْ } : أي أعرض عن الذين كررت عليهم الدعوة ، فلم يجيبوا . { وَمَا
أَنتَ بِمَلُومٍ } : إذ قد بلغت ونصحت . { وَذَكَرُوا فَآئِنَ الذِّكْرِ تَنفَعُ
الْمُؤْمِنِينَ } : تؤثر فيهم وفيمن قدر □ أن يؤمن ، وما دل عليه الظاهر من الموادة
منسوخ بآية السيف . وعن عليٍّ ، كرم □ وجهه : لما نزل { فَتَوَلَّ عَنَّهُمْ } ، حزن
المسلمون ووطنوا أنه أمر بالتولي عن الجميع ، وأن الوحي قد انقطع ، نزلت { وَذَكَرُوا
فَآئِنَ الذِّكْرِ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ } ، فسروا بذلك . { إِلَّا لِيَعْبُدُونَ } :
أي { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ } الطائعين ، قاله زيد بن أسلم وسفيان ، ويؤيده
رواية ابن عباس ، عن رسول □ صلى □ عليه وسلم) : (وما خلقت الجن والإنس من المؤمنين
) . وقال علي وابن عباس : { إِلَّا لِيَعْبُدُونَ } : إلا لآمرهم بعبادتي ، وليقروا لي
بالعبادة . فعبر بقوله : { لِيَعْبُدُونَ } ، إذ العبادة هي مضمّن الأمر ، فعلى هذا الجن
والإنس عام . وقيل : يحتمل أن يكون المعنى : إلا معدين ليعبدون ، وكأن الآية تعديد نعمه ،
أي خلقت لهم حواس وعقولاً وأجساماً منقاداً ، نحو : العبادة ، كما تقول : هذا مخلوق لكذا
، وإن لم يصدر منه الذي خلق له ، كما تقول : القلم مبري لأن يكتب به ، وهو قد يكتب به
وقد لا يكتب به ، وقال الزمخشري : إلا لأجل العبادة ، ولم أرد من جميعهم إلا إياها . فإن
قلت : لو كان مريداً للعبادة منهم ، لكانوا كلهم عباداً . قلت : إنما أراد منهم أن
يعبدوه مختارين للعبادة لا مضطرين إليها ، لأنه خلقهم ممكنين ، فاختر بعضهم ترك العبادة
مع كونه مريداً لها ، ولو أرادها على القسر والإلجاء لوجدت من جميعهم . انتهى ، وهو على
طريقة الاعتزال . وقال مجاهد : { إِلَّا لِيَعْبُدُونَ } : ليعرفون . وقال ابن زيد :
لأحلمهم في العبادة على الشقاوة والسعادة . وقال الربيع بن أنس : إلا للعبادة ، قال :
وهو ظاهر اللفظ . وقيل : إلا ليدلوا لقضائي . وقال الكلبي : إلا ليوحدون ، فالمؤمن يوحد
في الشدة والرخاء ، والكافر في الشدة . وقال عكرمة : ليطيعون ، فأثيب العابد ، وأعاقب
الجاحد . وقال مجاهد أيضاً : إلا للأمر والنهي . .
{ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِّن رِّزْقٍ } : أي أن يرزقوا أنفسهم ولا غيرهم . { وَمَا
أُرِيدُ أَن يُلْطَعِمُونِ } : أي أن يطعموا خلقي ، فهو على حذف مضاف ، فالإضافة إلى
الضمير تجوز ، قاله ابن عباس . وقيل : { أَن يُلْطَعِمُونِ } : أن ينفعون ، فذكر جزأ من
المنافع وجعله دالاً على الجميع . وقال الزمخشري : يريد إن شأني مع عبادي ليس كشأن

السادة مع عبيدهم ، لأن ملاك العبيد إنما يملكونهم ليستعينوا في تحصيل معاشهم وأرزاقهم بهم ؛ فإما مجهز في تجارة يبغى ربحاً ، أو مرتب في فلاحه ليقتل أرضاً ، أو مسلم في حرفة لينتفع بأجرته ، أو محتطب ، أو محتش ، أو مستق ، أو طايخ ، أو خابز ، أو ما أشبه ذلك من الأعمال والمهن التي تصرف في أسباب المعيشة وأبواب الرزق . فأما مالك ملاك العبيد فقال لهم : اشتغلوا بما يسعدكم في أنفسكم ، ولا أريد أن أصرفكم في تحصيل رزقي ولا رزقكم ، وأنا غني عنكم وعن مرافقكم ، ومتفضل عليكم برزقكم وبما يصلحكم ويعيشكم من عندي ، فما هو إلا أن انا وحدي . انتهى ، وهو تكثير وخطابة . وقرأ ابن محيصن : { الرَّزَّاقُ } ، كما قرأ : { وَفِي السَّمَاءِ } : اسم فاعل ، وهي قراءة حميد . وقرأ الأعمش ، وابن وثاب : { الْقُوَّةِ الْمَتِينُ } بالجر ، صفة للقوة على معنى الاقتدار ، قاله الزمخشري ، أو كأنه قال : ذو الأيد ، وأجاز أبو الفتح أن تكون صفة لذو وخفض على الجوار ، كقولهم : هذا جرح ضرب خرب . . .

{ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا } : هم أهل مكة وغيرهم من الكفار الذين كذبوا الرسول صلى الله عليه وسلم) ، ذنوباً : أي خطأً ونصيماً ، { مَثَلِ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ } : من الأمم السابقة التي كذبت الرسل في الإهلاك والعذاب . وعن قتادة : سجلاً من عذاب الله مثل سجل أصحابهم . وقال الجوهري : الذنوب : الدلو المملئ ماء ، ولا يقال لها ذنوب وهي فارغة وجمعها العدد ، وفي الكثير ذنائب . والذنوب : الفرس الطويل الذنب ، والذنوب : النصيب ، والذنوب : لحم أسفل المتن . وقال ابن الأعرابي : يقال يوم ذنوب : أي طويل الشر لا ينقصي . { فَوَعَدُوكُمْ لَلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمْ } ، قيل : يوم بدر . وقيل : يوم القيامة { الَّذِي يُوعَدُونَ } : أي به ، أو يوعدونه . . .